ما واقع الآثار السورية؟ وكيف تتعامل مديرية الآثار مع تداعيات الحرب؟ (١-٣)

عوض لـ«الوطن»: واقع الآثار السورية اليوم صعب ومؤلم للغاية ويعاني تحديات نتجت عن الحرب

| مصعب أيوب

الواقع الآثاري في سورية الغنية بتاريخها وكنوزها يستدعي النقاش، خاصة مع الحرب على سورية، والتي دارت في مناطق غنية بالآثار من حلب إلى تدمر وحمص ودمشق، في المدن والأرياف، وقد تعرضت الثروة الآثارية السورية للعبث والسرقة والتشويه من العصابات التي عاثت فساداً، ومن لصوص الآثار، وجاء الزلزال الذي ضرب سورية ليترك أثره في مواقع عديدة، وقد شهدنا محاولات حثيثة لاسترداد الآثار السورية المنهوبة، وإعادة الحياة وترميم بعض الآثار التي تضررت، واتخاذ الضوابط التي تسعى للحفاظ على الثروة التاريخية الآثارية من عبث العابثين واللصوص.

«الوطن» تفتح ملف الآثار وواقعها وما يتم العمل عليه في حوار خاص مع الأستاذ محمد نظير عوض المدير العام للآثار والمتاحف في سورية، استعرض فيه كل الجوانب ابتداء من الأهمية والتاريخ وصولاً إلى الحرب والزلزال، إلى الإجراءات الحكومية في كل مجال من المجالات.

الموقع المتميز لسورية جعلها نقطة اتصال بين الشرق والغرب، وأقيمت على أرضها ألمع الحضارات البشرية وأقدمها، وهي حضارات يضرب عمق جذورها في التاريخ لما يزيد على ٨٠٠٠ آلاف عام قبل الميلاد، فتنتشر المواقع والمساحات الأثرية التاريخية على معظم مساحة الأراضي السورية وقد زاد عدد تلك المواقع والمباني على ٤٥٠٠ موقع أثري، وتحتضن آثاراً لقرابة أربعين حضارة إنسانية، من إيبلا وأوغاريت وماري، مروراً بالآرامية والفينيقية والأكادية والكلدانية، وصولاً إلى البيزنطية والرومانية والعربية، فباتت سورية كمتحف مفتوح للعالم.

فتحتضن الجغرافيا السورية معالم أثرية شهيرة واصلت الصمود بفخر وعز، إضافة إلى أنها احتضنت الديانات السماوية الثلاث وانطلق منها التصوف إلى جميع أنحاء العالم وقد جذبت إليها الآثاريين من كل أصقاع الأرض.

«الوطن» في حوار خاص مع مدير عام الآثار والمتاحف محمد نظير عوض تستعرض معكم واقع الآثار السورية وماذا حل بها خلال العقد الأخير.

• ما واقع الآثار السورية اليوم؟

في حقيقة الأمر أن واقع الآثار السورية اليوم صعب ومؤلم للغاية ولا تزال الآثار السورية تعاني تحديات عدة، وهي في معظمها نتجت عن الحرب التي شنت على سورية منذ عام ٢٠١١، وأيضاً من تداعيات الزلزال الذي ضرب محافظات الشمال والغرب السوري وأدى إلى إحداث أضرار مركبة ومعقدة على الآثار وخصوصاً في مدينة حلب التي كانت تعاني أساساً من صعوبات ومشاكل وأضرار طالتها خلال الحرب.

ويمكننا أن نضيف إلى تلك التحديات أيضاً الواقع الاقتصادي العصيب في سورية والناتج عن الحصار الاقتصادي المفروض على سورية، فالكثير من الأعمال التوثيقية والترميمية وأعمال الصيانة التي نجريها على الآثار السورية تحتاج إلى الكثير من المعدات والكثير من التكنولوجيا الحديثة، وتحتاج أيضاً إلى مواد ولدائن لا تتوافر أحياناً في السوق المحلية ويؤدي الحصار الاقتصادي إلى نقص وتعثر إحضار هذه المواد، وبالتالي يؤدي ذلك إلى بطء في عمليات الترميم إن لم نقل تعثر أيضاً وظهور عقبات عديدة في الحفاظ على تلك الآثار، كما يمكن أن نضيف هنا إنه من جملة تلك الصعوبات أن المؤسسة المسؤولة عن ذلك وهي المديرية العامة للآثار المتاحف تعاني كغيرها من مؤسسات الدولة بحيث تسرب وهاجر الكثير من الخبرات والفنيين الذين فقدناهم خلال السنوات الماضية وبالتالي هذا النقص بالخبرة والعمال المختصين يؤدي إلى ظهور تحديات كثيرة بأنواع مختلفة.

• ما أبرز المواقع الأثرية في سورية وما الأضرار التي لحقت بآثار البلاد منذ بداية الحرب على سورية حتى اليوم؟

الأضرار متنوعة ومركبة وهذا السؤال واسع ويحتاج إلى مساحة كبيرة للإجابة عنه وسأحاول الاختصار، بالحديث عن المواقع الأثرية المنتشرة على كامل مساحة الجمهورية العربية السورية الكثيرة والمتعددة بأحجام مختلفة، فنحن نمتلك مدناً تاريخية بأكملها وتحصينات وتلالاً ضخمة اكتشف فيها العديد من الممالك التي تعود إلى حضارات قديمة ولدينا معسكرات ولدينا مواقع صغيرة ومحطات ومواقع استيطان لإنسان ما قبل التاريخ، فسورية غنية بالمواقع الأثرية على اختلاف أنواعها والتي تؤرخ لعصور مختلفة، ولاسيما أن بداية تأريخ وجود الإنسان في سورية يعود إلى مليون وثمانمئة ألف عام في منطقة الكوم المجاورة لتدمر، ومنذ ذلك الوقت وسورية تشهد تحضراً وتطوراً وانتشاراً لمواقع أثرية وظهوراً لمواقع أثرية أخرى والكثير من المدن والممالك لاحقاً، وفيها تم الكشف عن القرى القديمة التي تؤرخ بأنها تعود للقرن الرابع، ثم المدن والممالك الكبيرة كإيبلا وماري وأوغاريت، حيث ساهمت سورية منذ الاستيطان الأول في المسيرة الإنسانية ومسيرة التحضر البشري في المنطقة، وقد كانت صاحبة دور فاعل في هذا التطور على مدى عشرة آلاف عام من قبل الميلاد حتى اليوم.

والأضرار التي طالت تلك المواقع يمكن الوصول إليها من خلال مواقع التواصل، فبات ذلك معروفاً لدى الجميع، حيث أقدمت مجموعات مسلحة على تدمير العديد من المقامات المقدسة والدينية في ريف دمشق وفي منطقة الرقة وغيرها، والأكثر خطورة كان إقدام بعض المجموعات على عمليات تدمير ممنهجة ومدروسة كما حدث في تدمر، حيث دمرت تلك المجموعات معبد بل ومعبد شمين والعديد من المداخل البرجية والتارابيل وهذه المعالم من أهم معالم مدينة تدمر الأثرية، كما قاموا بأعمال تجريف لتلال أثرية كما حدث في تل عجاجة في الشمال السوري وتل قرامل في ريف حلب، وهذا التجريف باستخدام الآليات الثقيلة أدى إلى تدميرها وغيابها إلى الأبد، كمن أقدم على حرق ورقة من مخطوط وحيد لا نسخة ثانية له، وبالتالي هذا التجريف أدى إلى دمار سويات أثرية لا يمكن العودة إليها أو لا يمكن استعادة ما تم تدميره مرة أخرى.

> نشطت أعمال تنقيب سري وعشوائية في مناطق متفرقة وأدى ذلك إلى تهريب قطع مهمة إلى خارج البلاد بطريقة غير شرعية

إضافة لكل ما سبق فقد نشطت أعمال التنقيب السري أو الحفر الخفي في معظم المساحات التي خرجت عن سيطرة الحكومة وسلطة الأمن في الشمال وفي الجنوب خلال فترة الحرب، فحدث فيها أعمال حفر عشوائية للبحث عن الكنوز وبالتالي أدى ذلك إلى ظهور ما يسمى السوق السوداء للاتجار بالقطع الأثرية، فأدت هذه الأعمال إلى أضرار مركبة ومعقدة، ومن تلك المواقع التي طالتها الأعمال التخريبية المدمرة: موقع إيبلا الذي تحول إلى قاعدة عسكرية وقام أولئك الأشخاص بإغلاقه وحفر مئات الحفر التي أدت إلى دمار كبير جداً في هذا الموقع المهم في تل مرديخ وبالتالي وصلوا إلى الكثير من القطع الأثرية التي لاقت طريقها إلى الخارج وتم تهريبها بطرق غير شرعية بعد أن خرجت تلك المساحات عن سلطة الحكومة.

والموقع الثاني هو مدينة ماري على نهر الفرات في منطقة تل الحريري حيث شوهدت فيه آلاف الحفر التي دمرت السوية الأثرية، وتكرر ذلك في أفاميا وفي تدمر وفي مواقع أخرى، وتقوم المديرية حتى الآن بإجراء الكثير من عمليات المسح والكشف للوقوف على هذه الأضرار في مساحات شاسعة، وهناك مساحات ومناطق تعذر الوصول إليها لأسباب أمنية تتعلق بعدم توافر عامل الأمان والسلامة العامة لمن يصل إلى تلك المناطق حتى الآن، وفي حقيقة الأمر فإن هناك مئات الآلاف من القطع السورية الأثرية وصلت إلى تجار ومهربين وإلى السوق السوداء بطرق غير قانونية وأيضاً عن طريق بعض المنافذ الحدودية التي تسللت إليها يد المسلحين وجعلتها مفتوحة وغير مضبوطة.

حضور فني وشعبي في عزاء السيناريست حسن سامي يوسف

غسان مسعود: رحل عن الدنيا وفي قلبه حسرة أن بعض نصوصه لم تجد لها رواجاً في هذا الزمن الدرامي السيئ

| مايا سلامي- تصوير طارق السعدوني

بحضور فني وشعبي أقيم مساء السبت مجلس عزاء السيناريست والروائي الفلسطيني السوري حسن سامي يوسف في صالة «الأكرم» بدمشق، الذي غيبه الموت صباح الجمعة الماضي عن عمر ناهز الـ٧٩ عاماً، بعد مسيرة أدبية وفنية غنية بعشرات المؤلفات والأعمال الدرامية والسينمائية.

والراحل من مواليد قرية لوبيا في فلسطين عام ١٩٤٥، قبل أن ينتقل مع عائلته بعد النكبة إلى لبنان ثم إلى دمشق ليستقر فيها حتى مماته.

عمل ممثلاً في المسرح القومي بدمشق، وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧ ساهم في تشكيل المسرح الوطني الفلسطيني الذي قدم عروضاً كثيرة على مسارح العواصم العربية، وفي عام ١٩٦٨ قدمت له وزارة الثقافة السورية منحة دراسية في الاتحاد السوفييتي، كما استلم رئاسة دائرة النصوص في المؤسسة العامة للسينما، وحصد خلال مسيرته العديد من الجوائز.

الكاتب النبيل

وفي رثائه قال الفنان محمود نصر: «خبر رحيل الكاتب النبيل حسن سامي يوسف كان موجعاً ومؤلماً، وهو خسارة للدراما العربية كاملة، كان إنساناً زاهداً بفهم الحياة بطريقة مختلفة، وكاتباً عظيماً قدم لنا أفكاراً وأعماله تقول عنه الكثير، أوصل من خلالها رسائل عظيمة تدعو للمحبة والإنسانية ولنفهم أنفسنا ومشاعرنا ونتعايش مع هذه الحياة ونكملها حتى النهاية»..

وأضاف: «شخصياً له مكانة خاصة ومعزة كبيرة في قلبي لأنني أعتبر «الندم» نقطة انعطاف مهمة في مسيرتي، وهذا النص له خصوصيته لأنه تحدث عن معاناتنا البشعة التي مررنا بها كسوريين، وأثر فينا ذلك العمل بشكل كبير كمشاهدين، ومحظوظ الممثل الذي يحضر بعمل يؤثر بشعب بأكمله، وأنا مدين بذلك بالشكر والامتنان لحسن سامي يوسف رحمه الله لأنني كنت جزءاً من هذا العمل وخصوصاً أنه كتب عروة عن نفسه».

صعب أن يعوض

الفنان القدير غسان مسعود: «اليوم أبو علي رحمة الله عليه أغلق الباب وراءه على جيل من الكتاب الكبار الذين رفعوا الدراما السورية إلى مستويات من الألق جميعاً، نحن في هذه الأيام نحن إليها، رحيل حسن سامي يوسف سيترك فراغاً من الصعب جداً أن يعوض، ومن الصعب جداً أن نجد مثل هذا الكاتب وهذه القامة الذي كان يكتب عن السوريين بشكل رائع، كتب عن المهمشين والعشوائيين والطبقة الوسطى والعائلة وكل مكونات المجتمع السوري، أين سنجد مثل الكاتب الذي أعرف جيداً أنا أنه رحل عن هذه الدنيا وفي قلبه حسرة أن بعض نصوصه لم تجد لها رواجاً في هذا الزمن الدرامي السيئ، رحمة الله على حسن».

أثر طيب

الفنان عارف الطويل: «المرحوم كان له أثر إيجابي كبير في حياتنا الثقافية والفنية والسينمائية والتلفزيونية، هذا الأثر الطيب الذي تركه سيبقيه حياً في قلوبنا، غادرنا جسداً لكنه سيبقى حاضراً بيننا كمبدع ومؤثر إيجابي بحياتنا الفنية».

ذكرى عظيمة

الفنانة سهير صالح: «كنت أتمنى من كل قلبي أن أحضر في أحد أعماله، لكنني سعيدة بأنني كنت شاهدة على بعض تلك الأعمال في أثناء دراستي في المعهد وتخرجي، رحمه الله، محبوه كثر وترك ذكرى عظيمة لفلسطين وسورية».

برجك اليوم 08/05

نجلاء قباني

الحمل

أنت تقنع المحيط خاصة في اجتماع مع زملائك أو مع رؤسائك في العمل إذا وجدوا لأنك تلاقي الترحيب وتعزز الثقة فيك بكلامك المقنع وتأثيرك الكبير.
عاطفياً: يوم لاستقبال الضيوف وخاصة من سفر أو للارتباط لو كنت خالياً وهالة من نور تحيط بك وتفرحك.

الثور

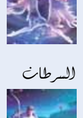

القلق قد يدخلك في دوامة لا متناهية من الانتظار للحب أو للوفاء وقد لا تجدهما ولكن اعتمد على لطفك وصبرك بعيداً عن شفقتك على ذاتك وتحميل نفسك أخطاءً ليست من صنعك. عاطفياً: لا تجعل حماسك يأخذك بعيداً واحرص على أن تكون قدماك دائماً على الأرض، وحاول أن تزيل خلافاتك.

الجوزاء

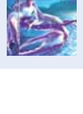

أنت تميل إلى النقاش لوضع وجهة نظرك قيد التطبيق، وأنا أشد على يديك فالحظوظ ملائمة لكل جديد وخاصة لتغييرات مفرحة لك أو لأحد أفراد عائلتك فاستفد من الحظوظ لتمتن علاقاتك بمحيطك.
عاطفياً: قد تسعد للقاء شخص مهم يساعدك كثيراً في أعمالك وتعزز السعادة من جاذبيتك.

السرطان

اليوم جيد على الصعيد المالي إن لم يطرأ مصاريف إضافية، فربما الدخل أقل من المصروف وهذا يتطلب منك الكثير من شد الأحزمة على الصعيد المالي.
عاطفياً: اليوم مناسب للخلق والإبداع وتنال الإعجاب لجاذبيتك وتفاؤلك وابتسامتك.

الأسد

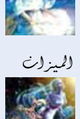

تمارس جاذبية قصوى على محيطك العملي أو الشخصي وتعمل على تعزيز أوضاعك وربما تفرح للنجاح فأنت مشرق اليوم واتصالات حولك تستغربها والغيوم بدأت بالذهاب وعواطفك فرحة.
عاطفياً: قد ترى أكثر من وجه جديد يحمل لك الخير ويطرح لك مشاريع جديدة أو يفتح لك آفاقاً.

العذراء

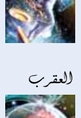

قد تعطي الثقة لمن لا يستحق مما يضايقك، لأنك تعتبر نفسك جيداً في الحكم على الآخرين، ولكنك تخطئ أحياناً فلا تغامر ولا تفتح أبوابك لأناس لا تعرفهم كفاية ولا تدخل في أمور قد تضر بسمعتك.
عاطفياً: الحكمة والهدوء تلزمك اليوم للابتعاد عن كل ما يعقّد حياتك وأنصحك بالاقتراب ممن تحب.

الميزان

أنت في الفترة الأفضل للحركة والتشويق وللتعارف، وقد تشعر أنك وسط بحر من العواطف الجميلة تجعلك مشرقاً وسعيداً فالدعم من حولك والإعجاب يحيط بك.
عاطفياً: قد تشعر بالثقة بالنفس أو يسعدك لقاء شخص قديم يحمل لك خيراً ويعدك بالأفضل.

العقرب

تسحب صلاحيات مما يجعلك تتعاطى بعصبية أو بطريقة متطرفة ولا تقبل الحلول الوسط وأنا أنصحك بأن تمسك العصا من الوسط لكي تبتعد عن أفخاخ أو مآزق قد تقع فيها.
عاطفياً: تجاهد لكي تخفي قلقك أو حزنك أو ضيقك عن أقرب المقربين ولذلك قد تميل إلى العزلة أو تعاتب غيرك.

القوس

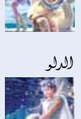

تلاقي نجاحاً على صعيد المهنة وقد تأتيك أخبار من سفر فأنت تشرح وجهة نظرك وربما حلول وانفراجات أو بعض الوعود الجديدة لأن أولوياتك اليوم الأمور العملية.
عاطفياً: ربما تشغلك محبة عائلتك ومحيطك وتجعلك سعيداً فحياتك العاطفية في تحسن وأنت نشيط ومنفتح.

الجدي

تتلقى وعوداً كثيرة، ويسود الحب والأجواء الإيجابية حولك، وقد تبدع في عمل مميز أو يكون أسلوبك براقاً وتفرض آراءك وتنال النجاح وتعلو نسبة التعاطف والإحساس.
عاطفياً: حولك هالة من الجاذبية تجعل المحيط يمنحك الإعجاب والتقدير والمحبة.

الدلو

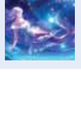

يوم للشجارات العاطفية أو للقلق والإرباك، فابتعد عن الشك والغيرة وعزز من ثقتك بنفسك فقد تمر عليك لحظات من الحزن أو الإحساس باليأس نتيجة عدم التجاوب، فاحذر من جرح الطرف الآخر حين تكون عصبياً.
عاطفياً: لا تنسحب من المعارك بسرعة، بل حاول الإصلاح مراراً ولا تكن عصبياً بشكل مفاجئ.

الحوت

عليك أن تنهي كل ما هو مهم، وخاصة أنك تملك طبيعة قادرة على كشف الأخطاء قبل تفاقمها، واسأل نفسك كل يوم صباحاً ما الأمور الواجب إنجازها؟ ولا يصح تأجيلها.
عاطفياً: اهتم بمظهرك ومعنوياتك وحاول الخروج للقاء الناس لأن شعبيتك ممتازة.